

# قراءة في كتاب د. محمد بلال أشمل صورة الرسول ﷺ في الفكر الإسباني المعاصر الرؤية والمنهج

د. محمد العمارتي (\*)

## الملخص:

يقارب الدكتور محمد بلال أشمل في كتابه «صورة الرسول ﷺ في الفكر الإسباني المعاصر» تصورات الفكر الإسباني عن النبي محمد ﷺ، بالاستناد إلى أعمال مجموعة من المفكرين الإسبان، وذلك بالوقوف على تطور هذا الخطاب منذ بداية العصر الوسيط بإسبانيا كمرحلة أولى في هذه القراءة ثم الانتقال إلى مجالات الكتاب ومحتوياته من خلال قراءة متأنية واصفة لمضامينه وقضاياها؛ ليكشف في سياق ذلك عن مختلف الأبعاد والمواقف والتصورات الفكرية والعقدية الدينية التي يحملها هؤلاء المفكرون الإسبان عن الرسول ﷺ.

وقد تمثل المنهج الذي اعتمده الكاتب في نقد النقد، إذ برز في طيات الكتاب سجل علمي ونقدي مع طبقة من المفكرين الإسبان في مراحل مهمة من تاريخهم العلمي والعقدي اللاهوتي في إطار بلورة تصورات ومواقف إسبانية تجاه رسول الإسلام محمد ﷺ؛ وذلك بمحاولة علمية ومنهجية تهدف إلى المزوجة في هذه

\*- باحث أكاديمي من المغرب.

القراءة بين الوصف والتحليل للقضايا المعروضة في الكتاب، وتقديم ملاحظات جزئية وعامة متصلة بعموم الفكر الإسباني ومواقفه إزاء الدين الإسلامي عموماً والرسول الكريم (ص) على وجه الخصوص.

المحرر

## مدخل

تروم قراءتنا لكتاب «صورة الرسول محمد ﷺ في الفكر الإسباني المعاصر»، تزكية الذات وتجريح الغير للدكتور محمد بلال أشمل<sup>[١]</sup>، ملامسة جملة من القضايا التي يعرضها المؤلف في كتابه، حول تصوّرات الفكر الإسباني عن الرسول سيّدنا محمد ﷺ انطلاقاً من أعمال المفكرين الواردين في الكتاب، لنكشف في سياق ذلك عن مختلف الأبعاد والمواقف والتصورات الفكرية والعقدية الدينية التي يحملها هؤلاء المفكرون الإسبان إزاء الرسول ﷺ، وهم على التوالي: رايموندومارتين ورايموندولوليو وخوان الطوركيماديفي مرحلة العصر الوسيط، ودونوسوكورتيس / أنخيل غانيفيت / رامون كامبومور / ميندثيلايو / ميغيل آسين بلاثيوس / خوستافوبوينو / أوخينوترياس / ثيسار فيدال في المرحلة المعاصرة، وبالتالي سنقف على أهم عناصر الائتلاف والاختلاف في أبنية هذا الفكر ومواقفه إزاء الرسول سيّدنا محمد ﷺ، مع السعي إلى الإلمام بمنهجية تفكيك هذا الخطاب عند المؤلف، لمعرفة هل توصل إلى بناء معرفة بهذا الخطاب وآليات اشتغاله أم كان ينهج مقاربة تاريخية تستعرض الخطاب في مراحل تطوره فقط؟!.

وبناءً عليه سنحاول قدر الإمكان المزاجية في هذه القراءة بين الوصف والتحليل للقضايا المعروضة في الكتاب، ممّا سيفسح لنا المجال لتقديم ملاحظات جزئية وعامة في النهاية متصلة بعموم الفكر الإسباني ومواقفه إزاء الدين الإسلامي عموماً، والرسول الكريم ﷺ على وجه الخصوص.

والكتاب الذي نقوم بدراسته ومقاربه قضاياها ليس كتاباً في نقد الأديان ولا في

[١]- صادر عن دار نون للنشر، دولة الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى ٢٠١٥.

الفكر الديني، بل هو دراسة في نقد النقد، ولتحديد أكثر نقول إنه سجل علمي ونقدي مع صياغات وتحولات فكرية ودينية وضعها مفكرون إسبان في مراحل مهمة من تاريخهم العلمي والعقدي اللاهوتي في إطار بلورة تصورات ومواقف إسبانية تجاه رسول الإسلام سيدنا محمد ﷺ وذلك في عيون الفكر الإسباني منذ أن بدأت ترسم ملامحه في أوائل العصر الوسيط إلى العصر المعاصر بتحولاتها وتناقضاتها المتعددة.

وهو بالإضافة إلى ذلك مسعى علمي لتخطي المؤلف، وجهد كبير اقتضى من صاحبه دراسات ومراجع تقصد إعادة النظر في تاريخ العلاقة الدينية بين الإسلام والمسيحية على أرض إسبانيا، وخطوة جادة تستحق التقدير لما اتّسمت به من جرأة إلى جانب الجدية والوضوح.

وبتعبير أدق إنه عمل يروم الاقتراب من الخطابات الإسبانية في تناولها للرسول سيدنا محمد ﷺ في سياق بناء رصد دقيق وواقعي لهذه الخطابات الإسبانية المتعددة، محاولاً رسم معالم هذا الفكر.

ولهذا، وبالرغم من صفحات الكتاب المعدودة والمحدودة (لا تتعدى ١٥٤ ص من القطع الصغير)، فإنه لا يخلو من أهمية وجدية في الطرح والتناول وإثارة مجموعة من القضايا المرتبطة بالموضوع، كما يثير تساؤلات جادة حول طبيعة المسار الذي سلكه هذا الفكر الإسباني تجاه موضوع غاية في الحساسية والأهمية، ألا وهو موضوع الحقيقة المحمدية.

لذا كانت القضية التي واجهتنا في إطار دراستنا للمؤلف ذات طبيعة منهجية ومعرفية في آن، فالحديث عن هذا الفكر يقتضي منا بداية تحديد الإطار التاريخي الذي يتحرك فيه، وقد حدّدناه زمنياً من بداية العصر الوسيط إلى بداية القرن الحادي والعشرين.

يعرض المؤلف في فصول كتابه الهدف من وراء دراسة هذه الخطابات في العصر المعاصر، فيبدأ بإيراد هذه الخطابات التي استمدت مرجعيتها من الأفكار

الدينية للعصور الأوروبية القديمة، التي تغلغت في معظم دراسات مفكري إسبانيا الوسيطين والمعاصرين، فكان نتيجة ذلك تزايد استخدام هذه التصورات المعادية عند هؤلاء تجاه الرسول ﷺ.

وبالتالي يوضح المؤلف منذ البداية أن كتابه سينصب على دراسة خطابات ومواقف إسبانية متنوعة حددها في:

- الفصل الأول: بنية الخطاب حول الرسول في الفكر الإسباني الوسيطي: «البداية والاستواء والاستئناف».

- الفصل الثاني: بنية الخطاب حول الرسول ﷺ في الفكر الإسباني المعاصر: «رفع الذات ووضع الغير».

- الفصل الثالث: صورة الرسول في الخطاب الإسباني المعاصر: «بين التعصب والإرهاب».

-الفصل الرابع: دلالات الخطاب حول الرسول في الفكر الإسباني المعاصر .

فكان من الطبيعي إذاً أن تتسع دائرة الاهتمام والعناية عنده لتشمل العديد من المفكرين الإسبان من العصر الوسيط وحتى العصر الحديث والمعاصر، نذكر منهم حسب ترتيبهم في هذه الفصول وهم:

رايموند مارتين<sup>[١]</sup>، ورايموند لوليو<sup>[٢]</sup>، وكذا خوان الطوركيمادي<sup>[٣]</sup>، ودونوسوكورتيس<sup>[٤]</sup>، وأنخيلغانيفيت<sup>[٥]</sup>، ورامون كامبومور<sup>[٦]</sup>، ومينينديشيلايو وإعادة إنتاجه للأفكار والصفات التي كانت سائدة في العصر الوسيط حول

[١]- صورة الرسول محمد ﷺ في الفكر الإسباني المعاصر: تزكية الذات وتجريح الغير، محمد بلال أشمل، الطبعة الأولى، دار نون، الأردن، ٢٠١٥، ص ١٧.

[٢]- نفسه، ص ٢١.

[٣]- نفسه، ص ٣٣.

[٤]- نفسه، ص ٥٩.

[٥]- نفسه، ص ٦٧.

[٦]- نفسه، ص ٧٥.

الرسول ﷺ<sup>[١]</sup>، وميغيل آسين بلاثيوس وبنية التماثل بين المسيحية والإسلام<sup>[٢]</sup>، وكذا خوستافوبوينو<sup>[٣]</sup>، وأوخينيوترياس وتصوره للحقيقة المحمدية، واستمراره في توظيف تصورات العصر الوسيط في بلورته لصورة الرسول ﷺ<sup>[٤]</sup>، وأخيراً ثيسار فيدال وسياق الخوف على إسبانيا من الإسلام، وصناعة الكذب على الرسول ﷺ<sup>[٥]</sup>.

ومن ثمّ سيسعى المؤلّف في البداية إلى تقديم قراءة في الشقّ المتعلّق بصورة الرسول ﷺ في الفكر الإسباني خلال مرحلة العصر الوسيط باعتبارها لحظة تأسيسية ومرجعية لتلك الصورة في الفكر الإسباني عامّة، وأكثر من ذلك في التمثّلات الثقافية لآخر في «إسبانيا» تجاه المسلمين في سياق الصراع ضدّ الوجود الإسلامي بشبه الجزيرة الإيبيرية.

وكأنّه يسير بنا قدماً للوقوف على مكانم الخلل في الخطاب الغربي / الإسباني حول الإسلام / نبيّ الإسلام، بدءاً من لحظات التأسيس في العصر الوسيط مع رايمونديو مارتين (١٢٣٠-١٢٨٦) أو كما يسمّيها بدايات تشكّل صورة الرسول في الفكر الإسباني، مروراً برايموندولوليو (١٢٣٣-١٣١٦)، ونضج هذا الخطاب واستكمالها مع خوان الطوركيمادي (١٣٨٨-١٤٦٨).

لذا فاللحظة الأولى: هي لحظة تشكيله مع رايمونديو مارتين الذي سعى إلى دحض المصدر الإلهي للإسلام، وإبراز حقيقة ومصداقية العهدين القديم والجديد، واعتبار الإسلام تحريفاً وتزييفاً للمسيحية؛ فاقترنت عنده تركية الذات بتجريح الغير، ليخلص المؤلّف محمّد بلال أشمل إلى أن رايمونديو مارتين أسّس لأربع بنيات وهي: الإسلام نحلة محمّدية، والتزكية الذاتية، وتجريح الغير، والأصل والتبعية<sup>[٦]</sup>. إلاّ أنّه لم

[١]- صورة الرسول محمّد ﷺ في الفكر الإسباني المعاصر: تزكية الذات وتجريح الغير، محمّد بلال أشمل، الطبعة الأولى، دار نون، الأردن، ٢٠١٥، ص ٨٣.

[٢]- نفسه، ص ٨٩.

[٣]- نفسه، ص ١٠٣.

[٤]- نفسه، ص ١٠٩.

[٥]- نفسه، ص ١١٥.

[٦]- المرجع السابق، ص ٢٠.

يناقش مرجعية فكر رايموندو مارتين وروافده، كما أنه لم يربط هذه الأفكار بسياقها التاريخي والفكري لاستخلاص الأهداف المضمرة.

اللحظة الثانية، يمثلها رايموندولوليو، حيث يحدّد المؤلف السياق الذي انبثقت فيه صورة الرسول ﷺ عند هذا المفكّر قائلاً: «لقد تأثر «ليولا» [رايموندولوليو] بما كان سائداً في عصره من أحكام مسبقة حول هؤلاء جميعاً؛ وبخاصّة اعتبار الرسول ﷺ «دجّالاً» أو «نبيّاً مزيفاً»، والنظر إلى المسلمين باعتبارهم متوحّشين، في سياق مليء بالعداوة والبغضاء لكلّ ما هو إسلامي أو مسلم»<sup>[١]</sup>.

بمعنى أن رايموندولوليو لم يقيم إلّا بحفظ تصوّر الرسمي (النخبة في الكنائس والأديرة) والشعبي (الأتباع والمؤمنين المسيحيين) الذي كان سائداً في أوروبا المسيحية عن الإسلام، وتحويله إلى أثر مكتوب يحفظه من النسيان، خاصّة في مرحلة تصاعد ما عُرف بـ «حروب الاسترداد» بإسبانيا.

ويبدو أنّ رايموندولوليو لم يأت بجديد بخصوص صورة الرسول ﷺ في الخطاب الديني المسيحي بقدر ما جمع الموروث السائد، والأفكار النمطية المستبطنة في الذاكرة المسيحية التي تشكّلت منذ الاحتكاك الأوّل للمسلمين بالمسيحيين، أبرزها تلك المتعلقة بمطابقة الرسول ﷺ للدجّال التي انتشرت خلال القرن التاسع الميلادي، خاصّة بقرطبة.

اللحظة الثالثة: كانت في نهاية العصر الوسيط ويمثلها خوان الطوركيمادي (١٣٨٨-١٤٦٨)، ويصفها المؤلف بلحظة «الأخطاء الأساسية لمحمّد». ويعتبر هذا الرجل من أبرز وجوه السجل المسيحي الإسلامي خلال العصر الوسيط، فقد دافع عن وحدة الكنيسة الكاثوليكية في خضم حركات الإصلاح الديني، لهذا كانت حياته حافلة بالعطاء الفكري والديني، ألّف خلالها جملة من الكتب، أبرزها كتاب: «الأخطاء الأساسية لمحمّد والأترك أو المسلمين». وكان الباعث وراء هذا العمل هو إيقاظ همم المسحيين لمواجهة المدّ العثماني في ظلّ انهيار الأوروبيين،

[١]- صورة الرسول محمد ﷺ في الفكر الإسباني المعاصر: تزكية الذات وتجريح الغير، محمد بلال أشمل، الطبعة الأولى، دار نون، الأردن، ٢٠١٥، ص ٢٢.

خاصة بعد سقوط القسطنطينية، والتنبيه إلى أهمية دور البابوية في توحيد صفوف المسيحيين. فلم يهتم خوان الطوركيمادي بسيرة الرسول ﷺ، وإنما ركّز على أخطاء محمد ونحلته، فاتباع المؤلف الدكتور محمد بلال أشمل فصول هذا الكتاب؛ ليقف على فلسفة التاريخ عند خوان الطوركيمادي.

وبناء عليه يصير الكتاب، كما يلاحظ محمد بلال أشمل بمثابة: «تحييض الأمراء المسيحيين، ورجال الدين والدنيا، على هدي الحجج السابقة، على أن يتحالفوا في حملة صليبية لكي يستأصلوا نحلة محمد ﷺ»<sup>[١]</sup>...

وتتنظم هذه البنيات جميعها، حسب المؤلف، ضمن منظومة فكرية عقديّة عامّة هي «بنية تجريح الخصم»، وترتبت عنها بنية خاصّة هي «بنية الرفض»؛ أي نحن أمام بنية عامّة شاملة، وبنيات جزئية، أو أمام بنية تتضمّن مجموعة من العناصر كما سبق أن لاحظنا ذلك مع بنيات رايمونديو مارتين.

ومن خلال النماذج التي قدّمها محمد بلال أشمل وهي: رايمونديو مارتين، ورايموندولوليو، وخوان الطوركيمادي، يمكن اختزال صور الرسول صلى الله عليه من خلال الفكر الإسباني خلال العصر الوسيط في ثلاث صور نمطية، وهي: الوثنية، العنف والشبكية<sup>[٢]</sup>.

وإذا كان المؤلف قد بين لنا الهدف وسياق تصوّرات خوان الطوركيمادي، فإنّه لم يبرز ما يتعلّق بسياقات رايمونديو مارتينورايموندولوليو. وعليه، فإننا سنحاول أن نبرز ذلك، انطلاقاً من كون تصوّرات هذين المفكرين، لم تكن معزولة عن واقعهما، وأبرز شيء يمكن تسجيله هو كونهما عاصرا مرحلة أوج «حركة الاسترداد»، فكان الإسبان في أمسّ الحاجة إلى معالجة مشكلة كبيرة كانت تشوّش على الكيان المسيحي، وهي وجود جماعة مسلمة متحصّرة تتمتع بكفاءة عالية في الفلاحة والحرف والبناء والمعمار، وهي التي عرفت بالمدجنين (Los mudéjares)، والتي

[١]- صورة الرسول محمد ﷺ في الفكر الإسباني المعاصر: تركية الذات وتجريح الغير، محمد بلال أشمل، الطبعة الأولى، دار نون، الأردن، ٢٠١٥، ص ٤٢.

[٢]- كتاب: (الغرب المتخيل: صورة الآخر في الفكر العربي الإسلامي الوسيط)، محمد نور الدين أفاية، بيروت - الدار البيضاء، ٢٠٠٠، ص ١٢٣، ١٤٣.

تعايشت مع المسيحيين في ظل إقطاعات استفادت منها وانتفعت من خبرتها، فكان لا بد أن يحارب المسيحيون بالقلم كما حاربوا بالسيف<sup>[١]</sup>؛ أي «ضمن اتجاهين اثنين مختلفين ومتكاملين ومتداخلين في الوقت نفسه، أولهما حربي قتالي وثانيهما سجالي كتابي»<sup>[٢]</sup>، وبثبتوا لهؤلاء زيف معتقداتهم بغية تنصيرهم، بل أكثر من ذلك ليثبتوا للمسيحيين الآخرين صدق معتقدهم ودينهم، صوناً لهم من الانبهار بهؤلاء المهرة المتحضرين. لهذا عمل المفكرون الإسبان على تجميع كل المعطيات السلبية المفترضة عن الإسلام. ومن جانب آخر اضطلعوا بدور التعبئة الفكرية ضد المسلمين من أجل تقليص مساحة الإسلام بشبه الجزيرة الإيبيرية إلى غاية القضاء عليه نهائياً<sup>[٣]</sup>.

إنّ تصورات مفكّري العصر الوسيط، عن الإسلام والمسلمين عامّة، وعن الرسول ﷺ خاصّة، لا يمكن أن تكون تصوّرات مجردة، وإنما هي نتاج أفكار مرتبطة بواقعها ارتباطاً وثيقاً، فلا شكّ أنّها خضعت لتطوّرات، وهذا أمر عادي وبديهي، أو هي حصاد لأفكار كانت قد سادت في إسبانيا، طيلة مراحل الصراع المسيحي / الإسلامي صراع وجودي ومعرفي. فمن الراجح أن تكون تلك التصوّرات تجميعاً لما كان يكنّه المسيحيون العيورون على دينهم، والتي عبر عنها المناظرون والمجادلون والناقمون بل والمحاربون أيضاً، مادام أنّ الإسلام كان يشكلّ تهديداً سياسياً وسلوكياً ومعرفياً، ليس فقط لمساهمته الحضارية، وإنما لقيامه على دحض مزاعم الكنيسة دون المساس بفكرة الألوهية، التي تشكّل جوهر الدين. فلم يكن بدّ أمام المسيحيين «الإسبان» في العصر الوسيط إلّا أن يبادروا بالهجوم بدل الارتكان إلى الدفاع والتبرير، من خلال اعتبار أنّ الإسلام ذاته الذي يزعم هذه التصوّرات المنافية للمسيحية، ما هو إلّا هرطقة مسيحية<sup>[٤]</sup>.

[١]- انظر: تقديم كتاب (صورة الرسول ﷺ في الفكر الإسباني المعاصر): تأليف د. محمد بلال أشمل. «قراءة في تصوّرات مفكّري العصر الوسيط» للدكتور محمد رضى بودشار.

[٢]- الإسلام في تصوّرات الاستشراق الإسباني من ريموند سلولوس إلى أسين بلاثيونس، عبد الواحد العسري، بيروت، ٢٠١٥، ص ١٢١.

[٣]- انظر: تقديم كتاب (صورة الرسول ﷺ في الفكر الإسباني المعاصر): تأليف د. محمد بلال أشمل. «قراءة في تصوّرات مفكّري العصر الوسيط» للدكتور محمد رضى بودشار.

[٤]- المرجع نفسه.

## صورة الرسول سيّدنا محمد ﷺ في كتابات مفكري إسبانيا العصر المعاصر

وبناءً عليه يعمد المؤلّف محمد بلال أشمل في كتابه إلى التصديّ لمسألة في غاية الأهميّة، وقد شكّلت محور الصراع الديني المسيحي الإسلامي عبر العصور، وهي تلك التصوّرات والرؤى التي كوّنها المفكّرون الإسبان عبر تاريخهم عن الرسول ﷺ، وشكّلت مركز انشغال الفكر الإسباني منذ القديم وما تزال تستقطب اهتمامهم إلى الآن.

ولهذا فإنّه -المؤلّف- سيحاول خلخلة جملة من المفاهيم والأفكار السائدة في الفكر الإسباني المعاصر كذلك، حيث أضحت من كثرة تداولها وتوظيفها من المسلّمات المباشرة والضمنيّة في اعتقاد الإسبان، مع تقديم اقتراحات من شأنها أن تساعد على إعادة خلق الخطاب الإسباني وصياغته على أساس من الوعي والحقيقة والموضوعيّة، وفي هذا الصدد يقدّم لنا تساؤلات مشروعة عن آليّة الوعي الفردي والجماعي لدى المفكّرين الإسبان المعاصرين، فهل هناك انقطاع وقطيعة مع أفكار الماضي أم هناك وصل واستمرار لهذا الوعي بالقياس إلى التجارب الماضية التي تشكّلت بدءاً من الوجود الإسلامي بالأندلس؟! وكيف نمت هذه الأفكار واستمرت في التطور والصمود بحيث أصبحت القاعدة الذهبيّة لهؤلاء المفكّرين الإسبان سواء منهم الأقدمين أو المعاصرين الذين تجمّدوا أمام سلطتها؟! يقول المؤلّف في هذا الصدد: «وبما أننا نعني فقط بالخطابات الإسبانية حول الموضوع، ينبغي التأكيد في هذا المقام على أنّ الزمان الإسباني جمّد على تقاليد ثقافيّة وفكريّة ورثها من فترة صراعه مع مسلمي الأندلس عقب سقوط غرناطة»<sup>[١]</sup>.

ومن خلال هذا الاستنتاج يعمد المؤلّف إلى فتح الباب على مصراعيه لتحديد مسؤوليّة الكنيسة ورجال الدين والمفكّرين أنفسهم في صياغة وتنامي هذا الفكر الديني المعادي للرسول ﷺ بإسبانيا قديماً وحديثاً على حدّ سواء، لقد كان مثلاً أحد المفكّرين الإسبان المعاصرين وهو دونوسوكورتيس شديد الولاء للمذهب الكاثوليكي يومئذ، وكان حضور ذلك زائداً عن الحاجة ويقدر عظيم من التعصّب

[١]- انظر كتاب: (صورة الرسول ﷺ في الفكر الإسباني المعاصر: تركية الذات وتجريح الغير)، محمد بلال أشمل، ص ٥٩.

للكاثوليكية، وبجرعات كبيرة من التحيز الأعمى للمسيحية، وبألوان عديدة من التطرف القومي الإسباني، وهي الصفات التي اشتهر بها في تاريخ الفكر الإسباني<sup>[١]</sup>.  
والمؤلف عندما يعمل على تحديد ملامح هذا الوعي السلبي لدى الإسبان عامة، فإنه يروم إلى فهم السلوكات والاتهامات السلبية والمعادية للإسلام ولنبية المصطفى الكريم التي تستبطنها الذاكرة الجماعية الإسبانية كنقطة انطلاق في أية عملية بناء للمعرفة بهما معاً، هادفاً في الآن نفسه من وراء ذلك إلى انتقاد مقولة ميغيل آسين بلاثيوس القائلة ببنية التماثل بين المسيحية والإسلام، يقول المؤلف بشأن ذلك «... ونشير منذ البداية إلى أن موقف الرجل يتحرك وفق بنية في الخطاب قائمة على التماثل مثلما سيعلم عنها في تقديمه لكتابه عن الغزالي، والتي بمقتضاها تكون المسيحية هي الأصل، والسيد المسيح هو المنبع، والتعاليم الإنجيلية هي المنطلق، وهي بنية رأينا بعض مظاهرها وصددها فيما مرّ بنا من خطابات مضادة للإسلام والمسلمين ونبههم عليه السلام، وبناء على بنية التماثل يرى بلاثيوس أن بعض أحاديث الرسول منقولة حرفياً عن الإنجيل، وأما بعض صفاته وشمائله ﷺ كما يسوقها ابن حزم، فمستوحاة من التعاليم المسيحية»<sup>[٢]</sup>.

إنّ الفشل الذي عرفته هذه القراءات الفكرية الإسبانية للرسالة المحمدية يفتح أمام أعيننا أسلوب التعامل مع الأشياء والمعطيات بنوع من الحذر واليقظة، ورؤية هذه التأويلات والاستنتاجات لهؤلاء المفكرين الإسبان على ضوء الواقع التاريخي الحقيقي، لإيجاد صيغ علمية ومعرفية ملائمة لكلّ هذه المظاهر الفكرية العدائية في حقّ الرسول ﷺ، ولن يتأتى ذلك كلّه إلاّ بالمزيد من التعمق في المعرفة وفي حفرياتها، وما تفرضه المرحلة المعاصرة من ابتكار لقنوات الحوار والتواصل العلمي الهادئ والرصين مع أمثال هؤلاء المفكرين الإسبان قصد الارتقاء بالمعرفة الدينية عندهم بالرسول وبتعاليمه السمحاء التي تؤسس لثقافة التسامح والتعايش وقبول الآخر بمعتقداته ودينه وبطقوسه التعبديّة بدون مركّب نقص أو إقصاء.

[١]- انظر كتاب: (صورة الرسول ﷺ في الفكر الإسباني المعاصر: تركية الذات وتجريح الغير)، محمّد بلال أشمل، ص ٦١.

[٢]- نفسه، ص ٩٢.

إنّ المسألة هنا تتعلق في تصوّراتنا بالمنهج والرؤى والتصورات التي يحملها هؤلاء ويتبنونها. كما يلاحظ المؤلف في هذا المجال أنّ الطابع اللازمي هو المهيمن في هذه الدراسات، بدليل أنّها لم تتغيّر في الجوهر، وإنّ تغيّرت في المصطلحات والجهاز المفاهيمي والرؤيوي للمعطيات .

ولهذا جاءت مباحث الكتاب خادمة لتصورات الكاتب ورهاناته باعتبارها تتناول أفكار أبرز من اهتمّ من المفكرين الإسبان بالرسول ﷺ بدءاً من العصر الوسيط وإلى عصرنا الراهن، وتُعرِّفنا على مواقفهم التي تعبّر عن مقدرة كبرى في صناعة الزيف وقلب الحقائق، وتستبطن عداً كبيراً تجاه الرسول ﷺ، فالمؤلف يحاول الكشف عن مدى ارتباط فكرهم بالجوّ العام السائد لدى الإسبان عامّة إزاء موقفهم من الرسول ﷺ ومن رسالته السماوية السامية.

ولاشكّ في أنّ هؤلاء المفكرين تعترضهم أفكار متوارثة سابقة لا يتمّ تذويبها بسهولة ويسر، تحمل تصوّرات موروثه ومستبطنة سادت في الفكر الأوروبي عامّة في مرحلة مظلمة من مراحل الصراع الديني والسياسي بين الإسلام والمسيحية، فلم تسلّم إسبانيا بدورها من هذه العدوى المعادية للإسلام ولنبيّه عليه السلام، كما أنّ مسألة سيادة هذه الأفكار وإعادة إنتاجها وإحيائها من جديد تقف عقبة كأداء أمام كلّ تحوّل أو تجديد في المشهد الفكري الإسباني المعاصر في إطار دراسته للإسلاميات.

ومن هذه الزاوية يطرح المؤلف مجموعة من القضايا المنهجية والمعرفية لمواجهة الأحكام والأفكار التي تمّت محاولة تأصيلها وترسيخها في الذاكرة الجماعية للإسبان عن النبي ﷺ من قبل علماء الدين واللاهوت وعلماء المسيحية، وتعميمها وكأنّها حقائق صحيحة ثابتة لا يمكن الطعن فيها، بحيث غدت كواقع منزّه عن النقد وإعمال النظر والعقل. وأخطر ما في هذه الممارسات أنّها تمّت في مراحل تاريخية وسياسية عدائية خاصّة في فترة تنامي حركة الاستعمار للعالم الإسلامي عامّة، وأخذت صبغة الوثوقية، وكأنّها مستمدة من واقع حقيقي صحيح، كما هو الحال بالنسبة إلى طروحات رامون كامبومور حينما اعتبر أنّ الرسول ﷺ من المؤسسين لأنظمة الدينونة الذين جعلوا التعصّب غايتهم - فمن وجوه تناقضات هذا الرجل، أنّه يورد للرسول

ما يؤكّد دعوته إلى التسامح، ثمّ يرمي أمته عليه السلام بتهمة التعصّب، ويزيد عليها تهمة الاستبداد، إذ ليس يستقيم لديه أن يكون من هم برابرة ومتوحّشون غير مستبدّين، لذلك فالعرب لم ينقطعوا قطّ عن النزوع إلى التعصّب والاستبداد<sup>[١]</sup>.

وهكذا وبناء عليه يحدّد المؤلّف مجموعة من المبادئ التي أصبحت تتحكّم في هذه الخطابات، وهي كالتالي:

التأكيد المستمر على عداة المفكرين الإسبان المعاصرين المتأصل ضدّ الرسول ﷺ، ومن ثمّ اعتباره الخصم الرئيس الذي لا يمكن ولا تجوز مصالحته.

## مواصلة الصراع ضدّ الرسول والإسلام.

### العمل في اتجاه التاجيح

وتمثّل هذه المواقف أو المبادئ، كما ذكر المؤلّف، خروجاً سافراً على مبادئ الحوار والبحث عن الحقيقة المنشودة، وهذه التصورات للأسف الشديد تأخذ حجماً متعاضماً مع الزمن، بل وتقوى مع السنوات في الذاكرة الإسبانية الشعبية منها والمثقفة على حدّ سواء، عندما يتدخّل المخيال الشعبي ليضيف عليها هالات ضخمة من الصور والاستيهامات التي تنتقل من صفتها الخرافية الخيالية إلى مجال الواقعية، بحيث يصعب التخلص منها ومن استبدادها في اللاوعي لدى الإسبان فيما بعد.

إنّ هذه المساهمة الفكرية للمؤلّف تتركز أساساً على الفحص والنقد وسبر أغوار الموضوع في مساره التاريخي، وعلى ضوء معطيات البحث في اللاهوتيات، إذ يعمد من أجل توضيح هذه الأبعاد إلى إقامة علاقة نقدية لأفكار هؤلاء وصيغهم العلمية والمعرفية في إطار ربطها بالمنظومة الفكرية والعقائدية الإسبانية التي يتحرّكون في دائرتها، هادفاً من وراء ذلك إلى خلق انشغال في حفريات هذا الفكر، وإقامة رؤية نقدية تعتمد على الأخذ بالمناهج العلمية، متجاوزاً نظرة التعميم والتفسيرات المتداولة المستهلكة.

[١]- انظر كتاب: (صورة الرسول ﷺ في الفكر الإسباني المعاصر: تركية الذات وتجريح الغير)، محمّد بلال أشمل، ص ٧٩.

فيعالج هذا التوجّه على أساس استراتيجية فكرية تعتمد على المواضيع التي تقوده بالضرورة إلى الوقوف على الخصائص والتصورات الثابتة وراء هذا الخطاب، ومستوى البحوث والدراسات التي تمت في هذا المجال، مع البحث عن منطلقاتها وخلفياتها الإيديولوجية والعقائدية الدينية، وكيف يُنظر إلى الرسول ﷺ في الوعي الفكري الإسباني، مع دراسة التحولات والتغيرات التي طرأت في هذا المجال.

وعلى هذا النحو يمضي مسلطاً الضوء على بعض التناقضات؛ ليقدم في كتابه هذا صورة واضحة المعالم والقسمات عن هؤلاء المفكرين الإسبان، وفي ثنايا العرض نجده يضيف كثيراً من الوقائع عن حياة هؤلاء وسلوكهم.

إنّ مثل هؤلاء المفكرين الإسبان هم الذين يسعون إلى تكريس تصورات ومسلّمات مقبسة من ثقافتهم وتكوينهم وقناعتهم التي استبطنوها في مسارهم الديني دون بحث جاد، بل يخفون وراء الفكر العدائي، ويقتفون خطا الأقدمين الذين كانوا يسيئون للرسول ﷺ ويكتفون بتمثّلات كلاسيكية مستبطنة حول الدين الإسلامي ورسوله وبكلّ الآراء المحكومة بنظريات العداء لكلّ ما هو إسلامي.

فرغم عملية التجدد والانفتاح والتطور والحريات الفكرية التي شهدتها المجتمع الإسباني المعاصر، فإنّ مفكره لم يحاولوا أن يتخلّصوا للأسف من إرث الماضي الظلامي، وأن يستبدلوا هذه الأفكار المتوارثة بأفكار جديدة، وتوظيفها توظيفاً إيجابياً نموذجياً يتلاءم مع الصورة العامة للتحولات الكبرى التي شهدتها المجتمع الإسباني والعالم كما ذكرنا آنفاً.

لقد اجتهدت هذه المواقف أو الخطابات -للأسف- في تقديم نصوص وأفكار حول الإسلام ونبية ﷺ وتحليلها تحليلاً عدائياً، ولم تخرج عن الإطار الرسمي المتداول للظاهرة الدينية المسيحية الكاثوليكية، وبقيت بالرغم من هالتها العلمية خاضعة في جانبها المعرفي إلى وجهة النظر المسيحية التي روج لها رجال الدين المتشدّدون، بحيث أضحت هذه الخطابات تأخذ صورة نموذجية تكرارية ابتدعتها الكنيسة وسعت إلى استغلالها كحدّ أقصى؛ لتفرض هيبتها وتصوراتها الخاطئة مع الحفاظ على آلياتها واستبدادها، بحيث لم يستطيعوا التخلّص منها، فتحكّمت في

خطوات دراساتهم ووجهتها على الرغم من تنوع المناهج التي اعتمدها والمنطلقات التي انتهجوها دون أن يؤسسوا رؤى أو تصورات موضوعية حول صورة الرسول (صلعم) بطريقة نزيهة وخالية من كل صراع أو تعصب -

كما يلاحظ المؤلف بأن كل كتابات هؤلاء المفكرين الإسبان تستبعد التعرض لأسئلة معينة وحقيقية تمسّ الوضع القائم دينياً وعقائدياً بين الإسلام والمسيحية، ولا تسعى إلى التفكير فيه، وتبقى ضمن الأسئلة التي لا يباح النظر إليها، وفي كل فترة نجد أنّ الاعتقادات تتغلب أكثر فأكثر على أطروحاتهم، معتمدة ومستعينة بإرادة السلطة الكنسية، وهذا الواقع للأسف لا يزال مستمراً إلى الآن حتى بالنسبة إلى الوعي الخاص بكل جماعة من الجماعات الإسبانية، مثقفين وسياسيين ولاهوتيين...، وبذلك تبقى شخصية الرسول محمد ﷺ هي الشخصية التاريخية الوحيدة التي لم ينصفها الغرب لحدّ الآن، متناولاً بشكل موضوعي إنجازاتها وأخطاءها، والتي يبدو أنّها كانت كثيرة، لأنّ الغربيين ليسوا قادرين على الاعتراف بأيّ فضل لها. إذ إنّ لا توجد أيّ مسرحية أو شريط أو كتاب حقّق شهرة عالمية لسبب أو لآخر، إلّا وتناول شخصية النبي بشكل سلبي، بل بأعلى درجة ممكنة من السلبية، حسب طبيعة الدور الذي أعطي له في العمل.

ويرى المؤلف أيضاً في هذا المجال أنّ الأسلوب الذي يتبعه الفكر الإسباني المهتمّ بالرسول (صلعم) يعبرّ تمام التعبير عن النظرة الإسبانية المركزية التي ما تزال تهيمن على الكثير من الدارسين والمفكرين الإسبان المعاصرين في مسألة دراستهم للإسلام بشكل عام.

إذاً فهذه الخطابات عندما تنظر إلى الرسول ﷺ فهي تنظر إليه من خلال المرجعيّات الشعبية الراسخة في الذاكرة الجماعية للإسبان منذ العصر الوسيط، وتعتبر أنّ الرسول نبيّ مزيف، وأنّ عيسى هو الإله، وعلى هذا الأساس ركّزت ملاحظاتها الانتقادية على ما تستضمّره الكنيسة من حقد وعداء، ولم تحاول أن تنظر إلى الإسلام ونبيّه كحدث مرتبط بالسيرورة الدينية والتاريخية للأمة العربية والإسلامية التي أراد الله بها تصحيح اليهودية والمسيحية بالإسلام.

أو بعبارة أوضح إن نقد هؤلاء للنبي ﷺ تعزّزه أساطير تاريخية، وتؤطره وتحركه قناعات لاهوتية، فكان التحليل المسيحي للإسلام ولنبيّه عليه السلام تحليلاً دفاعياً، بمعنى أنّ الإسلام قد جاء لزعة دعائم المسيحية من أساسها، إذ بدأ أغلب هؤلاء المفكرين الإسبان، القدماء منهم والمحدثين، من الفكرة التي تزعم بأنّ الإسلام كان تهديداً خطيراً ومباشراً للمسيحية، فسعوا بعد ذلك إلى الادّعاء بأنّ الإسلام «نبوة زائفة»، لذا أضحت هذه الهجمات شرسة لا ترعى ضميراً؛ لأنها كانت عدوانية الطالع، دفاعية المقصد.

كما كانت افتراءاتهم على الرسول ﷺ والمسلمين في العادة افتراءات بذيئة وغير مسؤولة للغاية. فكثير من آرائهم وتصوّراتهم التي حيكت عن الرسول ﷺ بالخصوص كانت سفيهة في أسلوبها؛ كأن يعتبر المفكر مينينديشيلايو الرسول متتحلاً لأحسن ما في اليهودية والمسيحية<sup>[١]</sup>، وهي قصص أوجدتها أساطير شعبية تخلو من أقل قدر من الدقة التاريخية والدينية، وتردّدت كثيراً جداً في جميع المؤلفات الجدالية. وأغرب هذه الترهات قد نسجها الخيال المسيحي الإسباني المريض، كما نقلتها الأساطير الشعبية، تلك التي تزعم بأنّ الرسول لم يكن مؤسس ديانة جديدة، وإنما هو مسيحي مرتدّ وحاقد، كوّن طائفة منشقة داخل الكنيسة، يحدوه في ذلك طموح منحرف.

لقد أضحى هؤلاء المفكرون الإسبان منشغلين -كما يقول المؤلف- بالعنف ضدّ الإسلام ونبيّه بهدي من المبادئ اللاهوتية المتشدّدة، وقد جعلوا من سيّدنا محمد (صلعم) الهدف الرئيس لهجومهم، وبذلك يمكننا اعتبار التهجّم عليه ﷺ بلورة لمقت هؤلاء، ومعهم الغرب، للمسلمين عامّة في أشنع صورته.

ثمّ يعرض المؤلف في الفصل الثالث لعدد من المتغيّرات التي استجدّت في الساحة العالمية والدولية مثل أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١، وعمليّات الإرهاب التي تعرّضت لها عاصمة إسبانيا مدريد، والتي لو استغلّت بشكل إيجابي لكانت فرصة تاريخية لدراسة الإسلام ونبيّه بنوع من الهدوء، لكن للأسف زادت الأشياء تدهوراً وتعصباً ومقتاً بشكل غير مسبوق في أعمال هؤلاء المفكرين الإسبان.

[١]- انظر كتاب: (صورة الرسول ﷺ في الفكر الإسباني المعاصر: تركية الذات وتجريح الغير)، محمد بلال أشمل، ص ٨٤.

لذلك فإنّ هذه الحقبة التاريخية التي يشير إليها الباحث شهدت بروز ما أصبح يعرف الآن بظاهرة إسلاموفوبيا التي تدعّمت بلا شك بفعل التأثير المتعاظم للأفكار المعادية لكلّ ما هو إسلامي، ممّا جعلت من مفكّر إسباني مثل خوستافوبوينو (Gustavo Bueno) حسب ما أورده المؤلّف في كتابه قيد التحليل<sup>[١]</sup> أن يصيح بأعلى صوته بدعوته إلى اجتثاث الإسلام من جذوره باسم العقلانيّة، كما حدث مع الكنيسة في القرن الثامن عشر، وإسقاط تجربة محدودة في الزمان والمكان على الدين الإسلامي الحنيف، وهو تفكير يحاول أن يتّخذ من الأحداث التي يعيشها العالم مطية ومبرراً للطعن في الإسلامي ونبية.

إنّ الفشل الذي عرفته هذه القراءات الإسبانية لشخصية النبي ﷺ وحياته الدينيّة والسياسيّة والأخلاقيّة والاجتماعيّة يفتح أمام أعيننا أسلوب التعامل مع هذه الآراء والأفكار والمواقف بفكر نقدي متيقّظ ومتبصّر وحذر إلى أبعد الحدود، مع إدراك ذلك في ضوء الواقع التاريخي الحقيقي للرسول وسيرته العطرة لإيجاد صيغ ملائمة لكلّ هذه المشكلات، وهذا لن يتأتّى إلّا بالمزيد من التعمّق في المعرفة، وما تفرضه ضرورة المرحلة [العصر المعاصر] من مساهمة لتحوّلات الرؤى العالميّة تجاه الرسول ﷺ - وهنا يأخذ الكتاب أهميّة في هذا القسم عندما ينتقل من التقرير إلى التحليل، ومن التحليل إلى النقد.

من هذه الزاوية أيضاً يمكننا فهم الأهميّة التي ينطوي عليها هذا الكتاب، فهو يتناول هذا الموضوع خلال مرحلتين زمنيّتين مختلفتين: العصر الوسيط والعصر المعاصر، وهو ما يعد إنجازاً أصيلاً في هذا الميدان، وإذا ما أضفنا نتائج هذه الدراسة إلى نتائج الدراسات التي تناولت الموضوع نفسه أمكننا التوصل إلى بعض الأحكام المهمّة التي تحكّم التحوّلات التي طرأت على موضوع دراسة صورة الرسول ﷺ في الفكر الإسباني في نسقه الشمولي العام.

إلّا أنّ اللافت للانتباه في هذا الكتاب أنّ المؤلّف لم يول اهتماماً وعناية كبيرين للوجه الإيجابي والمضيء في هذا الفكر [الفكر الإسباني] الذي وقف إزاء الإسلام

[١]- انظر كتاب: (صورة الرسول ﷺ في الفكر الإسباني المعاصر: تركية الذات وتجريح الغير)، محمد بلال أشمل، ص ١٠٣.

والرسول موقفاً نزيهاً وثابتاً، وجعل مسألة البحث عن الحقيقة المحمدية في أبهى صورها وتجلياتها مطمحاً ورهانه العلمي، فبنى معرفته بهما بناءً موضوعياً، بعيداً عن كلّ تحامل أو افتراء أو كذب. وللاستشهاد عن هذا الوجه الإيجابي للمفكرين الإسبان المعاصرين، الذي أغفل المؤلف الحديث عنهم، سنورد الآن نموذجاً واحداً هو المفكر الإسباني نيقولاس روزيرنيوت، وهو أستاذ بجامعة مالقة (Malaga) بإسبانيا، يقول عن النبي محمد ﷺ في دراسة له بعنوان (مسائل في علاقة الغرب بمحمد ﷺ: المثال الإسباني) شارك بها في ندوة السيرة النبوية في الكتابات الإسبانية، التي احتضنتها جامعة سيدي محمد بن عبد الله بمدينة فاس سنة ٢٠٠٨: «إنّ حكم الغرب على محمد نابع ربّما من الحسد، لأنّه نجح في تحقيق هدفه وهو على قيد الحياة، وبالتالي لم يكن بطلاً بعد وفاته، يستفيد آخرون من إنجازاته، ولأنّه كان بطلاً منتصراً على المستوى الروحي والسياسي والاجتماعي، على عكس غيره من الشخصيات التاريخية «المنافسة» له، والتي تُقدّم على أنّها بطلة على المستوى الروحي أو المثالي، وبالتالي أنبل منه، ولكن بعد اختفائها. وهذا هو الحال بالنسبة لبوذا وسقراط ويسوع، وهذا ما يعني أنّ آخرين هم الذين استفادوا من تعاليم هذه الشخصيات بعد أن غيروها وفق مصالحهم. وما يزعج معارضي محمد هو أنّه استطاع أن يبلور أفكاره ومبادئه على المستوى الاجتماعي والسياسي، وأنّ هذا المجهود كُملّ بالنجاح في حياته وبعدها، وهذا على الرغم ممّا عانته هذه الأفكار خلال تطبيقها طيلة التطور التاريخي للنظم السياسية الإسلامية»<sup>[١]</sup>.

بعد ذلك يعيب على الغرب قائلاً: «... لم يستطع الغرب حتّى الآن أن يستوعب الإسلام أو نبيّه في نظرة محايدة للتاريخ والحضارة؛ لأنّ القبول ببعض مزايا النبيّ، من شأنه أن يفتح الباب أمام تبني دينه، وهو ما كان يجب تجنّبه بأيّ ثمن. ولكن إذا رفض دين محمد، أي الإسلام، فإنّ الغرب ملزم بشرح الأسباب، مع أنّ هذه الأسباب لن تكون حقيقة، تبعاً لأحكام الغرب المسبقة، وبالفعل فإنّ على الغرب أن يعترف

[١]- نيقولاس روزيرنيوت «مسائل في علاقة الغرب بمحمد ﷺ: المثال الإسباني»، ضمن «السيرة النبوية في الكتابات الإسبانية»، جمع وتنسيق سعيد المغناوي، فاس، ٢٠٠٩، ص ١١٦.

يوماً ما ببعض شمائل الرسول»<sup>[١]</sup>. ثم يتابع اتهامه للغرب الذي يحاول طمس الحقيقة المحمّدية عن طريق إلغاء كلّ اهتمام علمي حقيقي بها من قبل مفكّريه، مضيئاً إلى أنّه «حتى الآن كلّ مواقفه تجاه النبي ﷺ أثبتت أنّها غير صحيحة، ولا تفي بالغرض الذي وضعت من أجله. كما أنّه من غير الممكن ترك محمّد دون تقييم، تبعاً لأحكام مسبقة للحضارة الغربيّة فاقت أربعمئة سنة. والواقع أنّ الكثير من قلق الغربيّين تجاه الإسلام والمسلمين، يأتي نتيجة غياب هذا التقييم، ولترك الحكم على نبيّ الإسلام معلّقاً، ناهيك عن اللجوء إلى حلول مؤقتة لا تؤدّي إلاّ إلى زيادة هذا القلق»<sup>[٢]</sup>.

نخلص إذاً ممّا سجّلناه آنفاً من ملاحظات إلى القول إنّ أهميّة كتاب الدكتور محمّد بلال أشمل لا تعود إلى كون المكتبة العربيّة في أمّس الحاجة إليه، لما تعانیه من نقص وفقر كبيرين بخصوص هذا الموضوع من الدراسات فحسب، كما لا تعود هذه الأهميّة فقط إلى المجهود الفكري/ النظري الذي بذل فيه عبر مختلف فصوله وقضاياها؛ بل أيضاً لأنّ المؤلّف، رغم اقتحامه لموضوع شائك وملتبس وحساس، لم يسقط في تكريس المبتذل والمكرور على حساب الموضوع المطروق.

ولهذا فإنّ أهميّة هذا الكتاب النوعيّة كذلك تكمن في ميزته المنهجية التي أبعدهت عن دائرة التكرار والاجترار للأفكار والآراء المتداولة في الموضوع.

كما أنّ الأهداف الضمنيّة التي يسعى إليها المؤلّف من خلال تأليفه لهذا الكتاب هي حتّ الفكر الإسباني على التحرّر من هذه الأفكار التي لا تخدم مصالح إسبانيا الحيويّة مع المسلمين، وفي هذا الصدد يبرز الأستاذ أسئلة تاريخيّة فكريّة محاولاً تعميق الواقع التاريخي للمسألة الدينيّة ضمن شروط الواقع الملموس، وهي لا تتطلّب فقط التخلّص من الإرث والأحكام والتصورات المتوارثة التي أخذت صبغة القداسة، بل تفرض عدم التورّط في تبنيّ مناهج علميّة وأكاديميّة لا تنطبق على معتقداتنا الدينيّة الإسلاميّة ورموزها المقدّسة، وعلى رأسها سيّدنا محمّد ﷺ.

[١]- نيقولاس روزيرنيوت «مسائل في علاقة الغرب بمحمّد ﷺ: المثال الإسباني»، ضمن «السيرة النبويّة في الكتابات الإسبانيّة»، جمع وتنسيق سعيد المغناوي، فاس، ٢٠٠٩، ص ١١٩.

[٢]- نفسه، ص ١١٩.

ومما يزيد طريقة التحليل في هذا المؤلف قيمة ويضفي عليها جاذبيّة، تلك النصوص العلميّة الغنيّة التي أوردها المؤلف لهؤلاء المفكرين، ثمّ أتبعها بترجمة أدبيّة تساعد القارئ غير الملمّ بالإسبانيّة على استكمال الصورة وبناء المعرفة بالموضوع، وما قدّمه المؤلف في هذا المجال من ملاحظات جديرة بأن تحظى بنقاش مكثّف مستقبلاً للكشف عن طبيعة الأخطاء والهفات التي سقطت فيها هذه الخطابات الإسبانيّة المعادية للإسلام ولنبيّه الكريم ﷺ.

يبقى القول بأنّ هذه الدراسة تمثّل إسهاماً عملياً طيباً ومثمراً، وهي تعدّ في رأينا من الدراسات الرائدة في موضوعها، وأنّ هناك كذلك بالمقابل الكثير من الاستنتاجات والملاحظات الصائبة التي يستحقّ صاحبها التهنئة عليها.

وبهذا القدر نكون قد قدّمنا تقديمًا عامًا وأوليًّا لأفكار المؤلف، مع التأكيد على عموميّة القراءة والعرض والتقديم، وقد تجنّبنا تفصيل العديد من الآراء والمواقف التي تحتاج إلى دراسات مستقبلية، ونحن على يقين أنّ مساهمة من هذا النوع تحتاج إلى نقاش واسع ومكثّف. ولا يسعنا في الأخير إلا أن ننوّه بالجهد العلمي الذي بذله الباحث الدكتور محمّد بلال أشمل في كتابه هذا، وما قام به من اجتهادات لنقل أفكار هؤلاء المفكرين الإسبان بوضوح وأمانة.

## لائحة المصادر والمراجع

١. الإسلام في تصوّرات الاستشراق الإسباني من ريموند سلولوس إلى أسين بلاثيونس، عبد الواحد العسري، بيروت، ٢٠١٥.
٢. صورة الرسول محمد ﷺ في الفكر الإسباني المعاصر، تزكية الذات وتجريح الغير، تأليف د. محمد بلال أشمل، صادر عن دار نون للنشر، دولة الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى ٢٠١٥.
٣. صورة الرسول محمد ﷺ في الفكر الإسباني المعاصر: تأليف د. محمد بلال أشمل، الطبعة الأولى، دار نون، الأردن، ٢٠١٥.
٤. قراءة في تصوّرات مفكّري العصر الوسيط» للدكتور محمد رضى بودشار، وهي قراءة ألقاها بمقرّ فرع مؤسّسة «مؤمنون بلا حدود» للدراسات والأبحاث بالرباط/ المغرب، بتاريخ ٠٦ مارس ٢٠١٦.
٥. الغرب المتخيّل: صورة الآخر في الفكر العربي الإسلامي الوسيط، محمد نور الدين أفاية، بيروت - الدار البيضاء، ٢٠٠٠.
٦. نيقولاس روزينيوت «مسائل في علاقة الغرب بمحمد ﷺ: المثال الإسباني»، ضمن «السيرة النبويّة في الكتابات الإسبانيّة»، جمع وتنسيق سعيد المغناوي، فاس، ٢٠٠٩.